

أفغانستان تجربة (خلافة)

ذُكر في سيرتك الذاتية أنك أحد من ذهب إلى
أفغانستان قبل نهاية التسعينيات الميلادية، ما
هي القصة؟

- التجربة الأفغانية تجربة خلافة، يصعب الحديث عنها واختزالها بعد مضي أكثر من عقد عليها، ولكن باختصار كان عمري حينها ١٨ عاماً وكنت طالباً في الصف الثاني الثانوي في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في عيشة، وكان المجتمع في تلك الحقبة عام ١٤٠٨ هـ يعج بثقافة «الجهاد» المدعوم دولياً؛ لأن المعتدي كان نظاماً شيوعياً أحرق يرغب في فرض المبادئ الشيوعية على الجميع بالحديد والنار، قبل أن أذهب كنت أقرأ وأتابع مجلة الجهاد، والبنين المرصوص التي كانت تتصدر أرفف المكتبات والبقالات، وخطب الجمعة التي كانت تتحدث عن الجهاد والمجاهدين، فقررت بعد الانتهاء من اختبارات نصف العام الذهاب لأفغانستان للجهاد بعد موافقة والدي -يحفظها الله- تحت ضغط وإلحاح، وكانت الجبهات هناك تعج بالجماعات، فوقع اختياري على الشيخ جميل قبل أن أذهب، وبالفعل تم استقبالنا من جانبه في مطار إسلام

آباد، وأذكر أنني من شدة حماستي كدت أمزق جواز سفري، حتى تكون رحلة بلا عودة ولكن من رحمة الله تعالى أنني لم أفعل ذلك، بعد ذلك تم استقبالننا في دار الضيافة هناك، ثم ذهبنا في اليوم المقبل إلى المعسكرات في كونار.

| ما هو أول شيء تدرّبت عليه؟

- في البداية يتم تدريبنا على اللياقة البدنية، واستخدام الأسلحة، وكيفية الدخول للجبهات، والحق يقال كان معسكر الشيخ جميل مميّزاً من حيث الانضباط والتدريب المتلازم مع العلم الشرعي، وكان حريصاً على عدم الدخول في نقاشات حول تكفير الحكام أو شيء من هذا القبيل.

وآخر سلاح تدرّبت عليه فرقتي، كان مدفع ٧٥ وهو مضاد للدروع، أما أنا فكان تركيزي على استخدام الرشاش؛ لأنه السلاح المرافق لك دائماً هناك.

| كم استغرق التدريب؟

- لم يدم طويلاً وأعتقد أنه استمر قرابة الشهر، ثم انتقلنا من المعسكر إلى الجبهة، ولكن في تلك المدة لم تكن هناك مواجهة، وإنما قصف متبادل بين مواقعنا ومواقع الشيوعيين؛ لأن المواجهة كانت تحتاج إلى تخطيط، وإعداد، وجهد مادي وبدني.

قلت هذا ليس مكاني!

| وماذا بعد؟

- انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة الثانية التي كانت مرحلة الرباط والترصد، وخدمة المجاهدين في الجبهة، وحفظ القرآن وتعليمه، وأكثر ما كنا نخشاه المنافقون، وبعدها قرب انتهاء الإجازة المدرسية عدت لإكمال دراستي، ولما أنهيت الاختبارات النهائية عدت إلى أفغانستان من جديد، ولكن ما إن وصلنا حتى بلغنا أن صدام احتل الكويت وأن أسامة بن لادن يستنفر الشباب للدفاع عن الوطن، فعدنا مباشرة مع من عاد، ولكننا لم نجد أي تنسيق فعاد كل منا إلى منزله، ولم أغادر المملكة إلا بعد انتهاء الأزمة، وعدتُ إلى أفغانستان وكانت المرة الأخيرة؛ لأننا حين عدنا كانت هناك فتنة بين الشيخ جميل -رحمه الله- وبين بعض قادة الجهاد في أفغانستان، وعلى رأسهم قلب الدين حكمت يار.

وكان من المؤسف أن اضطر إلى تحويل الأسلحة من مواجهة الشيوعيين إلى مواجهة مسلمين، وعندها وصلتُ إلى قناعة بأن هذا ليس مكاني، وكانت هناك مفاوضات لإخراج المجاهدين العرب

إلى باكستان، أو إلى جبهات أخرى أو إلى بلدانهم، وكنت ضمن أول مجموعة خرجت من أفغانستان إلى أوطانها، وقبل أن نخرج من الحصار كان الشيخ جميل قد قتل، وبعد تركنا أفغانستان بستة أشهر تقريباً سقطت كابل.

ماذا طابت نفسك بترك الجهاد في ذلك الوقت،
وقد ذهب في أشد الحماسة إليه؟

- لأنني كنت أخشى أن أدخل في فتنة أقتل فيها مسلماً، ولا شك أن مقتل الشيخ جميل أيضاً كان حدثاً جليلاً، ولكن لأننا كنا محاصرين في الجبهة من جانب كتائب حكمت يار، ولكثرة القتلى بيننا ولشدة الضغط الذي نعيشه، استقبلنا خبر اغتياله ببرود.

وكيف انجلى الحصار؟

- انجلى الحصار بعملية صلح تدخل فيها السفير السعودي وبعض المشايخ وطلبة العلم وبعض المسؤولين في الأحزاب، كما سمعت أن أسامة بن لادن كان طرفاً فيها أيضاً، وكان الاتفاق على الانسحاب المبدئي للعرب، فوجدنا فرصة، وطلقنا تلك الحقيبة بالثلاث!

ولكن هذا موقف تعرض له الكثيرون، فبقوا
حتى فتحت كابل وبعد ذلك... ما الذي دفعك
إلى الخروج أنت... أهزمت نفسياً؟

- قررت الترك نهائياً، لأن الصورة المثالية للجهاد بالنسبة إليّ تغيرت، ولن تفلح أي صورة أخرى في إعادة رسمها، وحين عدنا كنا ننصح

من جانب المشايخ بعدم الحديث عما تعرضنا له هناك، حرصاً على جمع الصف، ولكنني في الحقيقة لم ألتزم بهذا، لأنني تعرضت لظلم، ورأيت أن توضيح الحق للناس واجب، فمضيت أخطب في المساجد، وأتحدث إلى الناس في المجالس، لأبين لهم أن الجهاد الأفغاني ليس مثالياً كما يتصور بعض الناس.

ألم يرد إلى ذهنك أنها مغادرة قد تكون فراراً من الزحف؟

- لا، فأنا لم أفر من الزحف، وإنما أجبرت على الانسحاب والخروج من الجبهة، وغادرت أفغانستان بالكلية، لمبرر معتبر شرعاً، وهو أن الجهاد الذي جئنا للقيام به ليس موجوداً على أرض الواقع، مصالح وحسابات، واغتيالات بين المسلمين!

وصلت السعودية، ثم ماذا؟

- نعم، وصلت، ولو مزقت جوازي كما هممت أن أفعل لكانت العودة شائكة، ولكنني عدت بسهولة وأكملت دراستي، ثم قامت بعدها حرب البوسنة والهرسك، وكدت أذهب، ولكنني قابلت أحد الإخوة السابقين في أفغانستان، وكان عائداً من هناك، فقال لي: «أنصحك بعدم الذهاب؛ لأنك ستري في البوسنة أشد مما رأيتة في أفغانستان» فاعتبرت بكلامه ولم أذهب. وبعد تخرجي في الثانوية تزوجت وأصبح لدي نوع من الاستقرار، وإن كان الخروج للقتال يلازم فكري من حين إلى آخر في ظل الجبهات المشتعلة في

الشيخان، والبوسنة، وكشمير إلا أن الإنسان كلما تقدم به العمر وازداد ارتباطاً بالأسرة والمجتمع أدرك أن هناك جهاداً من نوع آخر، وربما كان أشد ضراوة من ذلك الجهاد.

هل يعني هذا أن الزواج يساعد على طرد هاجس الجهاد لدى الشباب؟

- لا شك في أن الزواج سكن واستقرار، وحين يلقي الإنسان من يسكن إليه يكون هذا مدعاة أكبر للاستقرار والبقاء!

وماذا عن النفس الجهادي بعد أحداث ١١ سبتمبر؟

- بعد أحداث ١١ سبتمبر كنت أنصح من يأتي لاستشارتي بعدم الذهاب؛ شفقة عليه من بطش الرد الأميركي على أفغانستان بسبب ضرب أبراجها.

وبعد غزو العراق؟

- أعتقد أن الوضع في العراق أعقد بكثير، لأن المواجهة فيه كانت واضحة، وكانت هناك تهديدات مبكرة وتحضير، وكنت أنصح من يستشيرني بعدم الذهاب أيضاً، وقلت هذا في الساحات وبعضهم رمانى بالتثبيط.

بما أن فكرة الجهاد ما زالت قائمة، ولكنها محاطة بالضبابية... لماذا لا يزال بعض الناس ينقر فوق هذا الجرس؟

- من يدعون الجهاد على فريقين: فريق يتهم المؤسسات الدينية الإسلامية بالقصور في نصره قضايا الأمة ولو ببيان، وبالتالي يرى أن عليه نصره هذه القضايا بالخروج للقتال، وآخر يرى أن المسلمين نالوا من الذل والقهر والقتل ما نالوا، فيحمل سلاحه ليس من أجل الموت في سبيل الله، ولكن للانتقام من الغزاة، وهناك من ذهب إلى العراق - مثلاً - زاعماً أنه يجاهد وهو لا يصلي!

التحريض على الجهاد بهذه الصورة دفع بكثير من المتحمسين إلى التخريب في أوطانهم، والقيام بالعمليات الإرهابية، بصفتك عشت هذه التجربة ورأيت عدم جدواها... كيف ترى إمكان التوفيق في هذا الأمر؟

- الإشكالية أن قناعاتك أو قناعات الشيخ أو المرابي لا تستطيع أن تغير شيئاً أمام سيل العاطفة لدى بعض الناس، وفي واقع الأمر يصعب على الإنسان الذي يشاهد المذابح على التلفاز وتمريغ الكرامة في سجن أبو غريب أن يتعامل بعقل.



أفغانستان أصبحت عاراً يلاحقنا!

كنت شخصاً له تجربة جهادية... كيف تنظر
للأحداث الإرهابية التي بدأت ولم تنته بعد في
السعودية؟

- بالنسبة إليّ أنا ضد العنف جملة وتفصيلاً، وبخاصة ما كان على أرض الوطن، لا سيما أن عندنا من المشكلات ما يغنيننا عن فتح باب آخر لها، كما أنه ذهب في هذه العمليات أشخاص مسلمون، فضلاً عن الأجانب المستأمنين والمعاهدين، إضافة إلى تزعزع الأمن في البلاد، وبلا شك كان لها أثر سلبي من حيث إساءة هذه العمليات للجهاد في حد ذاته، وللمجاهدين السابقين، ولأفغانستان التي أصبحت عاراً يتبرأ منه الجميع.

إذن... هل تعتقد أن السفر إلى خارج البلاد لأي
جهة كانت بدافع الجهاد فكرة غير مناسبة؟

- ما رأيناه حتى الساعة يثبت أنها تجارب فاشلة، والإشكالية أن الوجود السعودي الجهادي بالذات غير مرحب به إطلاقاً، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا الكلام.

إذن فلماذا الإصرار على هذه الفكرة مع أنها
أثبتت فشلها كما قلت؟

- لأن هذا نوع من اتباع رغبات النفس التي لا ينفك عنها الإنسان
حتى يقتل، أو يشحن إلى إحدى المعتقلات!

ما دعوتك لشباب الوطن، وأنت أحد الذين
سبقوهم إلى الجهاد؟

- أنا أدعو أي إنسان قبل أن يغامر أن يتقي الله في نفسه أولاً، ثم
في أهل بيته من والدين وزوجة وأولاد ثانياً، ثم يتقي الله في وطنه
ولا يأخذ المسألة بعاطفة أو هوى.

هل تتوقع أن تخرج من المملكة في يوم من الأيام
للجهاد مرة أخرى بعد التجارب الماضية؟

- لكل قضية أركانها وأبعادها، وفي الوقت الحاضر هذه الفكرة
لا تراودني بتاتاً؛ لأنني أعتقد أن العمل الخيري أو الدعوي، أو
الجهادي غير محصور في القتال، فهو عمل واسع المجالات في
الدين.

قراري غير خاضع للمساومة

أدرك أن خبر اعتزالي الساحة سيكون وقعه صعباً وحاملاً لتفسيرات سيئة لدى بعض الزملاء في المنتدى الذي كنت أكتب فيه، إلا أن فرح والدتي وزوجتي به وقناعتي به سيعوضني عن أي جفاء قد أتعرض إليه.

والذي أتوقعه أن ردود أفعال الناس ستتباين بحسب أخلاقهم وأفكارهم، وستكون هناك اتهامات، وقبول ورفض، وبالنسبة إليّ لا أخشى من رد فعل أحد، ليس في الساحة فقط، بل حتى في المجتمع؛ لأن هذا قرار شخصي اتخذته بعد تفكير طويل ومراقبة ودفع ثمن تلك الكتابات التي خسرت بها الكثير والكثير. وفي كل الأحوال، هذه قناعتي وليست خاضعة للمساومة أو لإغراء الآخرين، ومن يعرفني عن كثب فسيدرك أنني لا أغير قناعاتي لإرضاء الناس.

أما رسالتي الأخيرة لكتاب الإنترنت فهي: ينبغي على الإنسان ألا يقوم الأشخاص وفق موقف يراه أو يتخذه، وألا يتهم أحداً في نيته أو مبادئه أو عقيدته، بسبب وجهة نظر يتبناها، ولكن ينبغي تغليب جانب حسن الظن بالناس دائماً. وثانياً: أقول للإخوة كتاب الساحة

ينبغي التعاطي بموضوعية مع الأحداث، وعدم التسرع، وضبط النفس، وتقوى الله تعالى في إصدار الأحكام، والجانب الأهم الذي نغفل عنه جميعاً هو جانب محاسبة النفس، لذلك ينبغي أن يكون لدى الإنسان أرشيف يحوي جميع كتاباته؛ حتى يعود إليها من الحين إلى الآخر ويقوم نفسه، فإن كان على صواب عزّزه، وإن كان على خطأ أو تقصير، وهو الغالب فليحاول أن يصحح هذا الخطأ أو التقصير. (وقد حدث ما توقع).

